عالم الأموات

محمد حسن عبد العليم

الهواء عليل . هب ضباب فجأة بقايا دخان من حريق مازال مشتعل ، حبات رمال ، جماجم متناثرة ، نظر تحت قدمه الجماجم تطحن .. قطعة كثيفة من الأرض غارقة بالحرق.

استيقظ من نومه لا يعلم تفسيرا لرؤيته. أرتدى ملابسه وذهب إلى مكتبه في مجلة الراية .. التقى بأستاذ حسن الخولي ، أخبره رؤيته فقال له أن شيئاً ما سيحدث قريبا . بدأ سامح فوزي في مرحلة نسيان ما شاهده في منامه ، ولكن ما أن هدأ حتى باغته أستاذ حسن بخبر وقوع حادثة حريق التهم بضع عربات قطار بركابه..

علامات الشرود ارتسمت على ملامحه طمستها لعدة دقائق حتى عادت للوضوح من جديد ، لم يستطع حينها البقاء في عمله عاد لمنزله دخل حجرته غاص في نوم عميق . والده يسير تجاهه بخطوات ثابته يرتدي بذلة بيضاء ليقول له لا تقلق ما تراه من الآن هبة من الله ربما تساعد بها أصدقاءك ، جيرانك ، أقاربك فلا تقلق. أستيقظ من نومه غارقا في عرقه .. لم يعد سامح كما كان بعد الحادثة حتى رسومه الكاريكاتورية أصبحت مشوبة بملامح الحزن

ذات يوم بينما كان يسير في الشارع الواقع فيه منزله وجد رجلا بسيطا متقدما في عمره يجلس على أحد الأرصفة لم يتردد في أن يتقدم منه ويحاول

إعطاءه إحدى الصداقات فنظر له الرجل بطرف عينه وقال له لا تخف مما حدث ومما سيحدث فبينك وبين الله عمار

تمر الأيام وإذ بصديقه جلال يخبره بوفاة والد صديقهما شافعي وعليهما الذهاب إلى جنازته والوقوف بجانب صديقهما بهذا الوقت العصيب ، استعد سامح لمشاطرة صديقه حزنه على والده ، حضر الجنازة ودفن الجثمان وعاد الى منزله يقرأ القرآن ويستغفر الله وذهب للنوم وإذ به يرى في منامه والد صديقه يخبره بأنه بخير وأن يطمئن شافعي عليه وأخوته ويخبرهم بأن يدعوا له ويسامحوه لأنه تزوج بعد وفاة والدتهم ولم يخبرهم

استيقظ من نومه ، ارتدى ملابسه ذهب الى العزاء وسأل نفسه هل يخبر شافعي ؟بما رآه أم لا .. ولكن قرر ألا يخبره بشئ .. ذات يوم وبينما كان يجلس مع جلال يلعب الشطرنج فيخبره جلال بأن شافعي أكتشف أن والده كان متزوجا من أخرى .. تيقن سامح بعد حديث صديقه أنه شخص مختلف وقد منحه الله هبة ليست عند كل البشر بدأ سامح يتصل بالموتى في احلامه دون إرادته رأى كل من يفارق الحياة من جيرانه واقاربه حتى المجهولين بالنسبة له بدأ يراهم ولا يعلم من هم ففي أحد الايام رأي رؤية حيث رأي شخص يخبره بأنه توفى في حادث سير وأنه مجهول الهوية بالنسبة للشرطة وجثمانه متواجدا في المشرحة وعليه أن يبلغ وأعطاه كل سيرته من هو وأين يسكن وماذا يعمل أستيقظ من نومه ولمح خبر الحادثة في إحدى الصحف التي نشرت صورة الرجل الذي رآه فقرر أن يلبي ما طلبه وابلغ الشرطة عن شخصية المتوفي ليسلمه إلى أهله ليدفنوه .. شعر سامح وقتها أنه ليس هو.

بدأ اللون الأبيض يسير بشكل ثابت نحو شعره بدأت ملامحه تتغير بعض الشيء وكأنه يتقدم في العمر فجأة ، لفت تغيير ملامحه زملاءه، لم يصدقوا أن وجهه زارته تجاعيد الزمن واعتقدوا أنه يضع مكياجاً أو قناعا ليغير وجهه ولكنهم ما صدقوا ما حدث له، جفونه ثقيلة وقدميه أيضا ، آلام خفيفة بدأت تزور جسده بالكامل قرر الذهاب إلى الطبيب فطلب بدوره اجراء فحوصات وتحاليل وبعض الأشعة .

لبى سامح ما طلبه الطبيب ليذهب له بها ويخبره عن العلاج .. لكنه تفاجأ عندما أخبره الطبيب أن أعضاء جسمه بدأت تشيخ فبرغم أنه بعمر الثلاثين إلى أن أعضاءه بعمر الخمسين .. لم يعلم سامح ما الذي يحدث له ولماذا أصابته الشيخوخة

ذات ليلة نام سامح كعادته نوما عميقا وإذ به يرى دارا للمسنين وقد امتلأت عن آخرها وإذ بها تبدأ في الانهيار والمسنين لا يقدرون على الحركة الكل في حالة فزع وقف سامح وكأنه واحدا منهم .. مد يده أحد المسنين طالبا مساعدته ولكنه قال له احد العاملين، سامح مريض ولا يستطيع مساعدتك

فيلما سينمائيا يراه في حلمه وهو يقف يشاهد الجدران تتساقط فينظر يسارا يجد أن المجلة التي يعمل بها تنهار جدرانها واغلب البنايات تستعد بدورها للسقوط بدأ سامح في انقاذ نفسه .. ظل يجري، قدمه ثقيلة لكنه يحملها ويعود لمنزله ويدخل حجرة نومه ليرى جسده ممدا على فراشه فيندهش ويرتعب ولكن يحاول ايقاظ جسده ليستيقظ سامح من نومه ليجد آلام جسده قد رحلت وها قد شفي من آلامه التي لاحقته شهرا جلس بسببها في منزله

تابع التليفزيون الذي أذاع خبر انخفاض أرضي في إحدى المناطق أدى إلى انهيار دار للمسنين ومجلة الراية ومصرع الكثير من المسنين والصحفيين ، وقتها تذكر سامح ما رآه

وقف شاردا وبيده كوب من الشاي الساخن وسيجارة وقرر أن يكتب تجربته خاصة أنه ذهب للطبيب وعرف أن جسده عاد مرة أخرى شابا مثل عمره فقرر الكتابة ربما تعود الشيخوخة مرة أخرى ولا تذهب ووقتها لن يتذكر ولن يكتب شيء .. جاء بورق وقلم وبدأ يسرد كل ما رآه في أحلامه ولكن بعد انتهاءه تناثر الورق بكل مكان وخرج بعضه من النافذة حاول كتابة تجربته مرة اخرى ولكنه لم ينجح عرف وقتها انها رسالة بعدم البوح بهبة الله عليه .. ظل يفكر في عمله أستأنف حياته تماما وعاد لعمله كرسام كاريكاتير وعاد لمجلة الراية التي تم نقل مكانها لمقر مؤقت لحين بنائها مرة أخرى .. بدأت فصولا جديدة تحدث مع سامح إذا أنه بدأ يرى أن يده توجهه لرسم الكاريكاتير المناسب كل أسبوع فتارة يرسم رجل أعمال محمولا على الأعناق وتارة يرسم حادثة خطف أطفال وعندما تعرف الحادثة يكون أول رسام يعبر بريشته عما يحدث فقرر كتابة تجربته ولكن كلما قرر الكتابة يتناثر الورق .. فغير مسموح له بالبوح بأسرار الهبة التي أعطاها الله له.

أراد سامح التغيير عندما عرف أن احلام النهار لا تتحقق ولكن تتحقق احلام الليل فقرر أن يستيقظ ليله كاملة لينام نهارا وبالفعل نام في نهار أحد الأيام ليجد امرأة جميلة تقترب منه وتبتسم في وجهه دائما وتأكل معه حتى أنها باغتته في مرة بطعنة سكين في ظهرة طعنة قاتلة أستيقظ سامح مرتعبا وحمد الله أن رؤى النهار

لا تتحقق .. تمر الأيام ويقرر سامح السفر لشرم الشيخ لقضاء بعض أيام للاستجمام وفي أول يوم قرر النزول ليتمشى حول الفندق الذي يقيم فيه وإذ به يجد سيدة شقراء تجري سريعا ووراءها مجموعة من الشباب ثم تقف فجأة وتشهر سكينا وتلتف حول سامح لتهدد بقتله إذا لم يبتعدوا عنها فيقررون الهدوء فتنظر لهم نظرة ضحك وتطعن سامح طعنة قاتله وتجري ويطاردها الشباب . ويسقط سامح وهو يبتسم ويقر أن رؤية النهار تتحقق أيضا ويفارق الحياة .. تصعد روحة وأثناء صعودها تودع الدنيا ومن عليها ينظر إلى بيته وكوب الشاي وعلبة السجائر يودع ريشه وأقلامه وورقه.. وفي رحلة الصعود يقابل شعاع هابط إلى الأرض يعلم أنها روح جديدة تحمل هبات لا تعد ولا تحصى من خالقها، دعا الله بهدايتها وأستعد سامح لحساب الآخرة

openkandl.com